أخلاقيات البحث في الذكاء الاصطناعي
– فقه المعاملات المالية أنموذجا –

أسامة قابوش
باحث بسلك الدكتوراه
كلية الشريعة أيت ملول، جامعة ابن زهر
المغرب

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة أخلاقيات البحث العلمي في ظل تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، من خلال التركيز على البحث الفقهي في باب المعاملات المالية .وقد جاء هذا العمل في سياق التحولات المعرفية والمنهجية التي أحدثها الذكاء الاصطناعي، وما رافقها من إشكالات علمية وأخلاقية، خصوصا في المجالات الشرعية التي تقوم على الاجتهاد والتأصيل.

وينطلق البحث من الإشكالية الآتية:

كيف يمكن توظيف الذكاء الاصطناعي في البحث الفقهي المالي دون الإخلال بأخلاقيات البحث العلمي الشرعي وضوابط الاجتهاد الشرعي؟

وقد قُسم المقال إلى ثلاثة محاور رئيسة:

المحور الأول: الذكاء الاصطناعي والبحث الفقهي: المفهوم والسياق

المحور الثاني: أخلاقيات البحث في ظل الذكاء الاصطناعي: التأصيل والتحديات

المحور الثالث: نموذج تطبيقي لأخلاقيات البحث في الذكاء الاصطناعي من خلال البحث في فقه المعاملات المالية

وقد خلصت الدراسة إلى أن توظيف الذكاء الاصطناعي في البحث الفقهي ممكن ومفيد، لكنه يتطلب ميثاقا أخلاقيا محكما، يجمع بين الضوابط الشرعية والمهنية، حتى لا تتحول الأداة إلى بديل عن المجتهد الشرعي، أو وسيلة للتزييف والغش المعرفي.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فيُعد الذكاء الاصطناعي من أبرز التحولات التقنية المعاصرة التي غيّرت وجه العالم، وأثّرت على مختلف مجالات الحياة، من الاقتصاد إلى الطب، ومن التعليم إلى البحث العلمي. ولم يكن المجال الفقهي بمنأى عن هذا التطور، حيث بدأت بوادر الاستفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي تظهر في تحليل النصوص الفقهية، وتصنيف المسائل، وبناء قواعد البيانات، وحتى في محاولات إصدار الفتوى أو المساعدة في صياغتها. وفي خضم هذا التوسع، يبرز سؤال جوهري: ما هي حدود استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث الفقهي الشرعي؟ وما هي الضوابط الأخلاقية التي ينبغي أن تحكم هذا الاستخدام، خاصة في مجالات دقيقة كفقه المعاملات المالية الذي يتعامل مع أموال الناس، وتصرفاتهم، وحقوقهم؟

1- الإطار العام والخاص للبحث:

يندرج هذا الموضوع ضمن الإطار العام لأخلاقيات البحث العلمي في العصر الرقمي، ويضيق ليشمل الإطار الخاص المتمثل في أخلاقيات استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث الفقهي، من خلال التركيز على فقه المعاملات المالية بوصفه مجالا تطبيقيا يكشف التحديات الأخلاقية والمعرفية المصاحبة لهذا التحول الرقمي.

2- إشكالية البحث:

تتمثل الإشكالية المحورية فيما يلي:

أسهم تطور أدوات الذكاء الاصطناعي وتزايد الاعتماد عليها، في ظهور تحديات علمية وأخلاقية تتعلق باستخدام هذه التقنية في مجال البحث الفقهي، لا سيما في فقه المعاملات المالية، الذي يتطلب دقة في التأصيل، وعمقا في الفهم، وارتباطا بمقاصد الشريعة. وهذا يثير تساؤلا مركزيا: ما هي الضوابط الأخلاقية والشرعية التي ينبغي مراعاتها عند توظيف الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي الفقهي، خاصة في مجال فقه المعاملات المالية؟ وهل يمكن اعتماد هذه التقنية دون المساس بمبادئ الأمانة العلمية، والاجتهاد الشرعي الأصيل، وضوابط الفتوى في الإسلام؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما هي أبرز التحديات الأخلاقية المرتبطة باستخدام الذكاء الاصطناعي في البحوث الشرعية؟
- ما هي الخصوصيات التي تميز فقه المعاملات المالية في هذا السياق؟
- كيف يمكن تحقيق التوازن بين الاستفادة من الذكاء الاصطناعي والحفاظ على مبادئ الأمانة العلمية والضوابط الشرعية؟

3- منهج البحث:

يعتمد هذا المقال على المنهج التحليلي الوصفي، من خلال تحليل هذه الظاهرة في ضوء النصوص الشرعية والقواعد الفقهية، وتتبع التطبيقات المعاصرة للذكاء الاصطناعي في المجال الفقهي، كما يُستأنس بالمنهج المقارن لمقارنة الأخلاقيات التقنية مع المبادئ الأخلاقية الإسلامية.

4- أهمية البحث:

تنبع أهمية الموضوع من كونه يتطرق إلى تقاطع حساس بين الفقه والتكنولوجيا، ويبحث في الأبعاد الأخلاقية لاستخدام أداة قد تؤثر في مصداقية النتائج العلمية، وصحة الأحكام الشرعية. كما يسلط الضوء على مجال فقه المعاملات المالية الذي يحظى باهتمام متزايد من الباحثين.

5- أسباب اختيار البحث:

تتمثل هذه الأسباب فيما يلي:

- الانشغال العلمي والبحثي للباحث بمجال فقه المال عند المالكية.

- حداثة الموضوع وقلة دراسته في البحوث الشرعية.

- الحاجة الملحة إلى تأطير الاستخدام الشرعي والأخلاقي للتقنيات الحديثة.

- الوعي بخطورة الانزلاق الأخلاقي في توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، خاصة في المجالات التي تمس مصالح الناس.

6- أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- بيان مفهوم أخلاقيات البحث في ضوء استخدام الذكاء الاصطناعي.

- إبراز الضوابط الشرعية التي ينبغي مراعاتها في توظيف هذه التقنية.

- الكشف عن التحديات والمزالق الأخلاقية المصاحبة للذكاء الاصطناعي في فقه المعاملات المالية.

- تقديم نموذج علمي يربط بين التقنية والفقه في إطار أخلاقي متماسك.

7- الدراسات السابقة:

رغم كثرة الدراسات التقنية حول الذكاء الاصطناعي، إلا أن الدراسات التي تحدثت عن موضوع أخلاقياته في البحث الشرعي لا تزال نادرة، وتكاد تنحصر في جهود متفرقة، بعضها ركز على البعد الفلسفي، وبعضها الآخر درَس الذكاء الاصطناعي في سياق الفتوى أو التعليم. لكن لم أقف – حسب الاطلاع – على بحث درَس البُعد الأخلاقي لاستخدام الذكاء الاصطناعي في فقه المعاملات المالية من زاوية شرعية صريحة، مما يمنح هذا البحث طابع الجدة والخصوصية.

ومن هذه الدراسات السابقة ما يلي:

- الذكاء الاصطناعي في العلوم الشرعية إمكانيات وتحديات تساؤلات حول قدرة الآلات على الفهم والاستنباط الفقهي، الدكتور مولاي عبد الله قاسمي، الطبعة الأولى، 1446هـ/2024م، مركز معالم للدراسات والبحوث والتكوينات.

- الذكاء الاصطناعي وتقنياته – قضايا وتحديات في ضوء الفقه الإسلامي–، الدكتور العربي بوش، محمود زعيم، مجلة البحث والدراسات، عدد: 02، مجلد: 21، 2024م.

- أخلاقيات البحث العلمي في الذكاء الاصطناعي، الدكتور محمد حسن الوشاح، الدكتورة أسماء الوريكات، دليل أخلاقيات البحث العلمي العربي والذكاء الاصطناعي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أعده نخبة من المتخصصين، 2024/2023.

- دور الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، إيناس عبد الرزاق علي، ياسين طه سري، مجلة الجامعة العراقية، عدد: 16، مجلد: 02.

8- خطة البحث:

ينقسم المقال إلى ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: الذكاء الاصطناعي والبحث الفقهي: المفهوم والسياق

أولا: تعريف مصطلحي الذكاء الاصطناعي والبحث العلمي

ثانيا: توظيف الذكاء الاصطناعي في المجالين العلمي والبحثي

ثالثا: توظيف الذكاء الاصطناعي في المجال الفقهي

رابعا: التطورات الحديثة في استخدام الذكاء الاصطناعي في الفقه

خامسا: إشكالات مبدئية في توظيف الذكاء الاصطناعي في الفقه

المحور الثاني: أخلاقيات البحث في ظل الذكاء الاصطناعي: التأصيل والتحديات

أولا: مدخل عام إلى أخلاقيات البحث العلمي

ثانيا: الأساس الشرعي لأخلاقيات البحث العلمي

ثالثا: التحديات الأخلاقية الجديدة الناتجة عن استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث

رابعا: ضوابط شرعية مقترحة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي

خامسا: القواعد الفقهية المؤطرة لاستخدام الذكاء الاصطناعي

المحور الثالث: نموذج تطبيقي لأخلاقيات البحث في الذكاء الاصطناعي من خلال البحث في فقه المعاملات المالية

أولا: خصوصية فقه المعاملات المالية في علاقته بالاجتهاد والواقع

ثانيا: تطبيقات الذكاء الاصطناعي في فقه المعاملات المالية

ثالثا: التحديات الأخلاقية عند استخدام الذكاء الاصطناعي في المجال الفقهي

رابعا: الضوابط الشرعية المقترحة لتوظيف الذكاء الاصطناعي في فقه المعاملات المالية

خامسا: نماذج عملية في فقه المعاملات المالية

المحور الأول: الذكاء الاصطناعي والبحث العلمي: المفهوم والسياق

شهد العالم في العقود الأخيرة تحولا نوعيا في طبيعة المعرفة وأساليب إنتاجها، حيث برز الذكاء الاصطناعي باعتباره أحد أقوى أدوات الثورة الرقمية، القادرة على محاكاة عمليات التفكير البشري، وتوليد نصوص وتحليلات تفوق أحيانا قدرات الباحث العادي، وقد انتقل هذا الذكاء من مجرد خادم للإنسان إلى فاعل معرفي ومؤثر ثقافي، حتى أصبح يوصف أحيانا بمصطلح "العقل الاصطناعي" الموازي للعقل البشري.

ويُعنى هذا المحور بشرح مفهوم الذكاء الاصطناعي، وتطوراته، وأنواعه، ومجالاته، ثم يناقش ما أحدثه من تحولات في منظومة القيم العلمية في مجال البحث العلمي.

أولا: تعريف مصطلحي الذكاء الاصطناعي والبحث العلمي

إن الذكاء الاصطناعي فرع من فروع علوم الحاسوب يُعنى بتصميم أنظمة قادرة على محاكاة القدرات الذهنية البشرية، مثل التعلم، الفهم، التحليل، اتخاذ القرار، وحل المشكلات.

ويمكن تعريفه بأنه: "مجموعة الأجهزة أو الأنظمة المصممة من أجل أن تحاكي الذكاء البشري لغرض أداء مهام معينة استنادا إلى المعلومات

التي تجمعها"[1].

وقد تطور الذكاء الاصطناعي ليشمل اليوم تقنيات متقدمة كتعلم الآلة، ومعالجة اللغة الطبيعية، والرؤية الحاسوبية، وغيرها، مما جعله يُستخدم في نطاقات معرفية متعددة.

أما البحث العلمي فهو: "عمل منظم يهدف إلى حل مشكلة معرفية باستقراء جميع مكوناتها التي يظن أنها أساس الإشكال"[2].

ثانيا: توظيف الذكاء الاصطناعي في المجالين العلمي والبحثي

أحدث الذكاء الاصطناعي نقلة نوعية في أدوات البحث العلمي، حيث أصبح بإمكان الباحثين استخدام أدوات تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي من أجل[3]:

- تقديم نظرة عامة عن الموضوع.
- استخراج وتحليل البيانات بكميات ضخمة.
- تلخيص المقالات والكتب بدقة وسرعة.
- التعرف على الأنماط المتكررة في النصوص.
- صياغة محتوى علمي أولي يُراجع ويُدقَّق لاحقا.
- اقتراح مصادر أو مراجع ذات صلة بالموضوع.
- التصنيف الآلي.
- التوقعات والتنبؤات العلمية.

وقد سهلت هذه التقنيات كثيرا من جوانب البحث، وفتحت آفاقا جديدة، لكنها في المقابل أثارت تساؤلات حول حدود الاستخدام الأخلاقي والشرعي، وهو ما يحتم إدراك طبيعتها ومآلاتها.

ثالثا: توظيف الذكاء الاصطناعي في المجال الفقهي

يمكن استثمار الذكاء الاصطناعي وتوظيفه في ميدان الدراسات الإسلامية عموما، والفقهية خصوصا، وتتمثل مظاهر هذا التوظيف فيما يلي:

1- تحليل النصوص الفقهية:

يُمكن أن يستخدم الذكاء الاصطناعي في تحليل النصوص الفقهية وفق الخطوات الآتية:

- تصنيف الأحكام الفقهية حسب الموضوعات.

---

[1]- دور الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، إيناس عبد الرزاق علي، ياسين طه سري، مجلة الجامعة العراقية، عدد: 16، مجلد: 02، ص: 265.

[2]- أبجديات البحث في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي، الدكتور فريد الأنصاري، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص:24.

[3]- أخلاقيات البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي: "تطبيق chatGPT وإشكالية السرقة العلمية"، نصر الدين هيصام، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، عدد: 01، مجلد: 08، جوان 2024، ص: 1176-1177، بتصرف.

- بناء قواعد بيانات فقهية.
- تتبع الأقوال المختلفة في المذاهب الفقهية.
- تمييز الأصول من الفروع في المسائل الفقهية.

2- توليد الاستجابات الفقهية:

إن بعض التطبيقات تسعى إلى تقديم أجوبة فقهية تلقائية بناء على إدخال استفسارات معينة، وهو مجال دقيق جدا، يتطلب ضبطا علميا صارما، نظرا لحساسيته الشرعية.

3- دعم البحث والتعليم الشرعيين:

يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي من خلال إعداد خلاصات، وبطاقات فقهية، ومقارنات بين الأقوال، وخرائط ذهنية للمذاهب والمسائل.

رابعا: التطورات الحديثة في استخدام الذكاء الاصطناعي في الفقه

تتمثل أهم التطورات الحديثة فيما يلي:

- ظهور نماذج لغوية ضخمة (مثل ChatGPT وغيره)، ويمكن تدريبها على نصوص فقهية.
- مشاريع بحثية تهدف إلى رقمنة التراث الفقهي وتصنيفه آليا.
- محاولات بناء أنظمة إفتاء ذكية، تكون قادرة على ربط الوقائع بالنصوص الفقهية، وهو مجال لا يزال تجريبيا ويثير الكثير من التحفظات الشرعية والمنهجية.

خامسا: إشكالات مبدئية في توظيف الذكاء الاصطناعي في الفقه

رغم الفوائد العديدة والإيجابيات الكثيرة، إلا أن هناك إشكالات بارزة يجب التنبه لها، ومنها[4]:

- الاعتماد المفرط على الآلة دون مراجعة علمية بشرية.
- تحريف المعنى أو إسقاطه بسبب ضعف السياق أو ضعف الفهم الاصطناعي.
- غياب الاجتهاد الحقيقي؛ لأن الذكاء الاصطناعي لا يفهم "المقاصد" كما يفهمها المجتهد البشري.
- إهمال الخصوصيات المذهبية أو الاجتهادية نتيجة التعميم البرنامجي للذكاء الاصطناعي.

وانطلاقا مما سبق؛ فإن فهم طبيعة الذكاء الاصطناعي ومحدوديته، وإدراك أبعاده المنهجية والقيمية، شرط أساس قبل الخوض في تفاصيل توظيفه في المجالات الشرعية، لا سيما في فقه المعاملات المالية، الذي يمثل أحد أكثر الأبواب الفقهية حساسية للتغيرات الاقتصادية والتقنية، وهو ما سيتم التطرق إليه بشكل مفصل في المحورين التاليين.

المحور الثاني: أخلاقيات البحث العلمي في سياق الذكاء الاصطناعي: التأصيل والتحديات

يشهد البحث العلمي في العصر الرقمي تحولات عميقة بفعل توسع استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، وهو ما يفرض تحديات أخلاقية

[4]- انظر: الذكاء الاصطناعي وتقنياته – قضايا وتحديات في ضوء الفقه الإسلامي-، الدكتور العربي بوش، محمود زعيم، مجلة البحث والدراسات، عدد: 02، مجلد: 21، 2024م، ص: 21.

جديدة تتعلق بسلامة البحث العلمي وأمانته، خاصة في المجالات الشرعية التي ترتكز على الاجتهاد والتأصيل. وإزاء ذلك تبرز الحاجة إلى تأصيل أخلاقيات البحث العلمي في هذا السياق التقني المستجد، لضمان التوازن بين الاستفادة من قدرات الذكاء الاصطناعي، والحفاظ على الأصول المنهجية والضوابط الشرعية، مع بيان أهم الإشكالات التي تواجه الباحثين في هذا المجال المعقد والدقيق.

وهذا المحور سيُبرز الأسس التأصيلية لأخلاقيات البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي، وسيحلل أهم التحديات التي تواجه الباحث الفقهي عند استخدامه لهذه التقنيات، مستندا إلى قواعد الشريعة وأصول الاجتهاد وأخلاقيات البحث العلمي المتعارف عليها.

أولا: مدخل عام إلى أخلاقيات البحث العلمي

تُعد الأخلاقيات العلمية من الأسس الجوهرية التي تضمن نزاهة البحث، وسلامة نتائجه، واحترام حقوق الآخرين من مؤلفين ومشاركين ومؤسسات علمية. وهي تشكّل ركيزة لا غنى عنها في البناء العلمي المعرفي، سواء في مراحله التقليدية أو في سياق التحول الرقمي المعاصر.

ويمكن تعريفها كالآتي: "مجموعة من القيم والمبادئ والأساليب لتوجيه السلوك الأخلاقي في تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي واستخدامها"[5].

وقد أجمع الباحثون على أن من أهم هذه الأخلاقيات[6]:

- الصدق العلمي في توثيق النتائج والمعطيات.
- الأمانة الفكرية والدقة في نسبة الآراء إلى أصحابها.
- احترام حقوق المؤلفين من خلال الالتزام بقواعد الاقتباس والنقل.
- الشفافية المنهجية في عرض خطوات البحث وتحليل نتائجه[7].
- الاستقلالية العلمية[8] والحيادية التي ترفض التبعية العمياء أو الانحياز المسبق.

وفي ظل تطور أدوات البحث وظهور تقنيات الذكاء الاصطناعي، أضحى لزاما على المؤسسات الأكاديمية والباحثين أن يُعيدوا النظر في تطبيق هذه الأخلاقيات، لا سيما في ظل تعقّد العلاقة بين الباحث والآلة.

ثانيا: الأساس الشرعي لأخلاقيات البحث العلمي

إن المنظومة الأخلاقية الإسلامية لا تنفصل عن البحث العلمي، بل تؤطره وتوجهه بمبادئ راسخة، منها:

---

[5]– أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، سلسلة الذكاء الاصطناعي للتنفيذيين (3)، الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، الطبعة الثانية، أبريل 2024م، ص: 8.

[6]– أخلاقيات البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي: "تطبيق chatGPT وإشكالية السرقة العلمية"، نصر الدين هيصام، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، عدد: 01، مجلد: 08، جوان 2024، ص: 1172- 1176، بتصرف.

[7]– انظر: أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، سلسلة الذكاء الاصطناعي للتنفيذيين (3)، الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، الطبعة الثانية، أبريل 2024م، ص: 21- 26.

[8]– انظر: أخلاقيات البحث العلمي في الذكاء الاصطناعي، الدكتور محمد حسن الوشاح، الدكتورة أسماء الوريكات، دليل أخلاقيات البحث العلمي العربي والذكاء الاصطناعي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أعده نخبة من المتخصصين، 2024/2023، ص: 48.

1- الأمانة العلمية:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [سورة البقرة- من الآية: 282]، ويشمل هذا كتمان الحقائق العلمية أو تحريفها.

2- الصدق والتثبت:

يجب على الباحث أن يتريث في أخذ المعلومات العلمية، وأن يبحث عن مدى نسبتها لأصحابها، ودرجة صحتها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الحجرات- الآية: 6]، وهذه الآية الكريمة تُؤكد ضرورة التحقق من صحة المعلومات، خاصة في زمن المعلومات الاصطناعية.

3- العدل في النقل والاقتباس:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام- من الآية: 153]، وهذا يشمل العدل في أخذ الأقوال والنصوص العلمية، والقاعدة العلمية المعروفة تقول: "إن كنت ناقلا فالصحة، وإن كنت مدعيا فالدليل".

4- اجتناب الغش والتدليس:

لا شك أن نسبة كلام الذكاء الاصطناعي إلى الذات دون تحقيق أو مراجعة يدخل في هذا النطاق؛ لأن أخلاقيات البحث العلمي في الشريعة ليست مجرد تنظيم إداري، بل هي واجب ديني ومقصد شرعي.

ثالثا: التحديات الأخلاقية الجديدة الناتجة عن استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث

رغم كل النقاط الإيجابية التي يقدمها الذكاء الاصطناعي إلا أنه يواجه العديد من التحديات الكبرى في حل بعض مشاكل العلوم الشرعية، والتي تتطلب دقة وحساسية عالية مثل التفسير، وعلم أصول الفقه، وعلم الحديث[9]. ونذكر من هذه التحديات ما يلي[10]:

1- الانتحال العلمي:

تستطيع أدوات الذكاء الاصطناعي، لا سيما النماذج اللغوية، توليد نصوص كاملة شبيهة بما يكتبه الباحث. لكن نسبتها مباشرة إلى الذات دون مراجعة أو إشارة إلى مصدرها يُعد انتحالا، سواء أكان عن قصد أو عن جهل.

ومن الإشكالات الكبرى أن هذه النصوص قد تُحاكي مقاطع موجودة فعليا في مؤلفات أو دراسات سابقة، مما يورّط الباحث في انتهاك الملكية الفكرية لأصحابها الباحثين.

---

[9]- انظر: الذكاء الاصطناعي في العلوم الشرعية إمكانيات وتحديات تساؤلات حول قدرة الآلات على الفهم والاستنباط الفقهي، الدكتور مولاي عبد الله قاسمي، الطبعة الأولى، 1446هـ/2024م، مركز معالم للدراسات والبحوث والتكوينات، ص: 62- 63.

[10]- انظر: أخلاقيات البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي: "تطبيق chatGPT وإشكالية السرقة العلمية"، نصر الدين هيصام، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، عدد: 01، مجلد: 08، جوان 2024، ص: 1179- 1180.

2- ضعف الاجتهاد العلمي الحقيقي:

يؤدي الاعتماد المفرط على الذكاء الاصطناعي إلى ضعف القدرة التأصيلية لدى الباحث، حيث يكتفي بما تولده البرامج دون تفكير عميق أو تحليل للمسائل، وهو ما يخالف روح البحث الشرعي القائم على النظر والاستنباط والمقارنة بين المذاهب والأدلة.

4- التحيّز الخفي في البيانات:

تعتمد أنظمة الذكاء الاصطناعي على بيانات تدريبية، قد تكون مشوبة بميول أيديولوجية أو اجتهادية أو طائفية، مما يُحدث انحرافا في النتائج، وقد يؤدي ذ لك إلى ترجيح اختيارات فقهية معينة دون مبرر علمي واضح.

5- تزييف المحتوى أو تضليله:

يُمكن للذكاء الاصطناعي أن يقدم معلومات غير دقيقة أو غير موثقة أو حتى مخترعة، خاصة في النصوص الشرعية أو التوثيق الفقهي، مما يُلحق ضررا فادحا بالبحث ومصداقيته، ويؤدي إلى الاستدلال بنصوص غير موجودة أو أقوال لا أصل لها.

6 -ضبابية المسؤولية العلمية[11]:

في حال وُجد خطأ أو تحريف، من يتحمل مسؤوليته؟ الباحث أم البرنامج؟ وهذا يطرح إشكالا أخلاقيا مهما، ويُبرز ضرورة بقاء الباحث فاعلا وموجّها ومسؤولا لا مجرد ناقل لما تصوغه الخوارزميات.

رابعا: ضوابط شرعية مقترحة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي

انطلاقا من القواعد الكلية والمبادئ المقاصدية، يمكن اقتراح جملة من الضوابط الشرعية التي تؤطر استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، منها:

1- الضبط بالنية والمقصد:

إن النية أساس كل عمل، فإذا كانت نية الباحث الاتكال والتواكل، فإن استخدام الذكاء الاصطناعي يُعد محرما شرعا، لكونه يؤدي إلى الكذب أو الغش.

2- التحقيق والمراجعة:

كل نص يُنتجه الذكاء الاصطناعي ينبغي أن يُدقق ويُراجع علميا، ولا يجوز اعتماده إلا بعد التأكد من صحته.

3- التمييز بين المساعدة والنيابة:

يُقبل الذكاء الاصطناعي باعتباره مساعدا للباحث في جمع المعلومات، لكن لا يُمكن أن يكون بديلا عنه في التحليل والاستنتاج؛ لأن "الآلة لا تجتهد، وإنما يجتهد الإنسان".

4- توثيق المخرجات الاصطناعية:

ينبغي ذكر استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في مقدمة البحث أو الهوامش أو المراجع، بما يضمن الشفافية والوضوح في المنهج.

---

[11]- انظر: الذكاء الاصطناعي وتقنياته – قضايا وتحديات في ضوء الفقه الإسلامي-، الدكتور العربي بوش، محمود زعيم، مجلة البحث والدراسات، عدد: 02، مجلد: 21، 2024م، ص: 23- 30.

5- الالتزام بالقواعد العامة للبحث الفقهي:

إن قواعد البحث الفقهي كثيرة، ومنها: مراعاة الخلاف، واعتبار مقاصد الشريعة، والنظر إلى مآلات الفتوى، وغيرها من القواعد الشرعية.

خامسا: القواعد الفقهية المؤطرة لاستخدام الذكاء الاصطناعي

يمكن الاستئناس بعدد من القواعد الفقهية الكلية لضبط المسألة، نذكر منها:

1- الوسائل لها أحكام المقاصد: إن كان المقصد مشروعا، فالأداة كذلك؛ وإن فسد المقصد، حُرِّمت الوسيلة.

2- درء المفاسد مقدم على جلب المصالح: إذا ترتب على استخدام التقنية مفسدة علمية، كالتزوير أو الانتحال، وجب المنع.

3- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب: الالتزام بالضوابط الأخلاقية شرط لصحة الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في البحث.

من خلال ما سبق ذكره، يتبيّن أن استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي الفقهي ليس ممنوعا لذاته، وإنما يُشترط فيه النية السليمة، والأمانة العلمية، والتحقق من النتائج، وتوظيف الآلة ضمن الإطار الشرعي والمعرفي، ومن خلاله يمكن للباحث المعاصر أن يجمع بين أصالة المنهج الشرعي واستفادة مدروسة من التقنيات الحديثة.

وسيتضح هذا التوازن بشكل أدق في المحور الثالث، الذي سيعرض نموذجا تطبيقيا من فقه المعاملات المالية.

المحور الثالث: نموذج تطبيقي لأخلاقيات البحث في الذكاء الاصطناعي من خلال البحث في فقه المعاملات المالية

يُعد فقه المعاملات المالية من أبرز مجالات الفقه التي تتداخل اليوم مع تقنيات الذكاء الاصطناعي، نظرا للتطور السريع في الوسائل والأسواق والمنصات الرقمية.

ويُقصد بفقه المعاملات المالية: "الأحكام الشرعية المنظمة لتعامل الناس في الأموال"[12].

وفي ظل استخدام الباحثين والهيئات الفقهية لهذه التقنيات في التحليل، والاستنباط، ومتابعة السوق، يُطرح سؤال جوهري: هل يتسق هذا الاستخدام مع أخلاقيات البحث العلمي؟ وهل يحترم الضوابط الفقهية والشرعية؟

ويمكن الإجابة عن هذا السؤال الجوهري من خلال التطرق إلى المسائل الآتية:

أولا: خصوصية فقه المعاملات المالية في علاقته بالاجتهاد والواقع

إن فقه المعاملات المالية يتميز عن سائر أبواب الفقه بعدة خصائص تجعله أكثر قابلية للاستفادة من الذكاء الاصطناعي، لكنها في الوقت نفسه تجعله أكثر عرضة للتجاوزات، ومن أبرز هذه الخصائص:

1- الارتباط الوثيق بالمستجدات الاقتصادية.

2- التغير السريع في النوازل المالية وتطبيقاتها، مثل العملات الرقمية، العقود الذكية، التمويل الجماعي، وغيرها.

3- مرونة النصوص الشرعية في هذا الباب، وهو ما يسمح بتنوع الاجتهادات، لكنه يتطلب فقها دقيقا بالمآلات والعلل.

4- كثرة المؤثرات الخارجية: القانونية، والمالية، والرقمية، والمجتمعية...

ومن خلال هذه الخصائص؛ فإن الباحث في هذا المجال يحتاج إلى معرفة شرعية عميقة، واطلاع دقيق على الواقع المالي والاقتصادي، مما

[12]- المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، الدكتور عثمان شبير، الطبعة السادسة، 1427هـ/2007م، دار النفائس للنشر والتوزيع، ص: 12.

يجعل استخدام الذكاء الاصطناعي محفوفا بالمسؤولية.

ثانيا: تطبيقات الذكاء الاصطناعي في فقه المعاملات المالية

تتعدد صور استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث الفقهي المالي، ومن أبرزها:

1- تحليل النصوص الفقهية:

تُستخدام تقنيات معالجة اللغة، حيث يتم استخراج الأقوال الفقهية وتصنيفها حسب المذاهب أو الأبواب أو العِلل.

2- تلخيص الأقوال والمقارنات الفقهية:

تُستخدم الخوارزميات لعرض الفروق بين الأقوال، أو لإنتاج "ملخصات فقهية" لقضايا كبرى مثل: بيع الدين، والإجارة المنتهية بالتمليك، والمرابحة للآمر بالشراء، والعملات الرقمية...

3- اقتراح الفتاوى[13]:

إن بعض المنصات (مثل التطبيقات الفقهية أو مواقع الإفتاء التلقائي) تعتمد على الذكاء الاصطناعي في تقديم فتاوى مبدئية بناء على إدخال المستخدم.

4 -تحليل البيانات المالية الفعلية:

يمكن ربط أنظمة الذكاء الاصطناعي مع بيانات الأسواق والمؤشرات لمساعدة الهيئات الشرعية على تقويم منتجات مالية، أو تحليل مدى توافقها مع الضوابط الإسلامية.

5- الاستشراف الفقهي

يتم توظيف الذكاء الاصطناعي في استشراف النوازل القادمة وتقديم تنبؤات بناء على اتجاهات الاقتصاد الرقمي، مما يسهم في توجيه البحث الفقهي الاستباقي.

ثالثا: التحديات الأخلاقية عند استخدام الذكاء الاصطناعي في المجال الفقهي

تتمثل هذه التحديات فيما يلي:

1- خطر التحيز في الترجيح بين الأقوال:

قد يتم ترجيح قول فقهي بناء على خوارزمية مصممة مسبقا، دون مراعاة سياق القول أو أدلته أو مقاصده، مما يخل بالمنهج الفقهي.

2- إغفال شرط الاجتهاد:

قد تُنسب "فتاوى" إلى الذكاء الاصطناعي دون تحقق من شروط المفتي، وهو ما يتنافى مع قول العلماء: "الاجتهاد لا يكون إلا لمن توفرت فيه آلته من علم ونظر ومقاصد".

3- الخلط بين الفتوى والقضاء:

قد تُستخدم التقنية لإصدار أحكام "نهائية" دون تمييز بين **الفتوى الشرعية** التي تبني على الظن الراجح و**القضاء** الذي يبني على البينة

[13]- انظر: الذكاء الاصطناعي وتقنياته – قضايا وتحديات في ضوء الفقه الإسلامي-، الدكتور العربي ببوش، محمود زعيم، مجلة البحث والدراسات، عدد: 02، مجلد: 21، 2024م، ص: 22- 23.

والإلزام، وهذا يهدد الأمن الفقهي للمجتمعات.

4- الاعتماد الزائد على المعالجة التقنية:

الاعتماد على الذكاء الاصطناعي قد يُغيب البعد الإنساني والاجتماعي الذي هو جوهر فقه المعاملات المالية، مثل النية، العرف، الضرورة، الاستضعاف...

رابعا: الضوابط الشرعية المقترحة لتوظيف الذكاء الاصطناعي في فقه المعاملات المالية

استنادا إلى مقاصد الشريعة وقواعد الفقهاء، يمكن ضبط استخدام الذكاء الاصطناعي في هذا المجال بالضوابط الآتية:

1- أن يُستخدم كأداة مساعدة لا كبديل للمجتهد:

لا يجوز الاعتماد على الذكاء الاصطناعي لإصدار فتوى أو اجتهاد، بل ينبغي أن يكون أداة لتحليل المعطيات، لا للإفتاء.

2- مراعاة الفروق المذهبية:

يجب التنبيه إلى المذاهب المختلفة، وعدم إخفاء الأقوال المرجوحة أو تضخيم الأقوال المختارة؛ لأن ذلك يُعد غشا علميا.

3 -توثيق جميع النتائج التقنية:

كل استنتاج يقدمه الذكاء الاصطناعي يجب أن يُوثق مصدره ومنهجه، وأن يخضع لمراجعة بشرية دقيقة.

4- التحقق من شرعية المرجعيات التقنية:

الأنظمة التي دُرب عليها الذكاء الاصطناعي يجب أن تكون من مصادر معتبرة فقهيا، لا من مواقع مجهولة أو منحرفة.

5 –الاعتراف بحدود التقنية.

من خلال ما سبق، ينبغي التأكيد أن التقنية لا تدرك المقاصد، ولا النيات، ولا السياقات البشرية، وهي جوانب جوهرية في فقه المعاملات المالية.

خامسا: نماذج عملية في فقه المعاملات المالية

سأمثل بالنموذجين الآتيين المتعلقين بفقه المعاملات المالية:

1– النموذج الأول: دراسة الذكاء الاصطناعي للعقود المركبة

قد تساعد الخوارزميات على تتبع العقود المعقدة (مثل: الإجارة المنتهية بالتمليك، والمرابحة للآمر بالشراء...)، لكنها لا تستطيع الحكم على نية التحايل أو المقصد من تركيب العقد.

2– النموذج الثاني: التحقق من موافقة الشركات لمعايير الشريعة

قد تُستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي لرصد نشاطات الشركات والأسواق، وتحليل نسب الربا والديون، لكن القرار النهائي يجب أن يبقى بيد الهيئات الشرعية المتخصصة.

وانطلاقا مما سبق؛ فإن توظيف الذكاء الاصطناعي في فقه المعاملات المالية يمثل فرصة واعدة إذا أُحسن توجيهها، ومخاطرة حقيقية إذا غابت عنها الضوابط الشرعية والأخلاقية، ولا غنى للباحثين في هذا المجال عن الجمع بين الفقه العميق للنصوص والمقاصد، وبين الوعي التكنولوجي المسؤول.

خاتمة

بعد هذا المسار التحليلي الذي تطرقت فيه لأخلاقيات البحث في الذكاء الاصطناعي من خلال فقه المعاملات المالية أنموذجا، تتضح عدة نتائج علمية، وسأبدأ بذكر هذه النتائج، ثم سأذكر بعض التوصيات، وآفاق البحث.

أولا: نتائج البحث

تتمثل بعض النتائج التي توصلت إليها في ما يلي:

1- إن الذكاء الاصطناعي، رغم كونه أداة تقنية، يُعد اليوم فاعلا معرفيا مؤثرا في إنتاج العلوم، ومن ثَم يستوجب تأطيرا أخلاقيا دقيقا.

2- إن فقه المعاملات المالية يتميز بخصوصية تجعل من استخدام الذكاء الاصطناعي فيه ممكنا وواعدا، لكنه محفوف بمخاطر تتعلق بالاجتهاد، المقاصد، والأمانة العلمية.

3- إن هناك تحديات أخلاقية متعددة ترتبط باستخدام هذه التقنية في البحث الفقهي، من أبرزها: التحيز الخوارزمي، الغش العلمي، تغييب الاجتهاد، والتهاون في التوثيق.

4- إن الشريعة الإسلامية، بمنهجيها المقاصدي والاحتياطي، توفر أرضية مناسبة لصياغة ضوابط أخلاقية دقيقة لتوظيف الذكاء الاصطناعي في البحث الفقهي، دون إقصائه ولا إطلاق العنان له.

ومن خلال هذه النتائج؛ فإن توظيف الذكاء الاصطناعي ممكن ومفيد، شريطة إخضاعه لمنهج علمي شرعي دقيق، يتضمن ضوابط أخلاقية واضحة، ويجعله أداة خادمة للباحث.

ثانيا: توصيات ومقترحات

تتمثل هذه التوصيات والمقترحات في ما يلي:

1- ضرورة صياغة ميثاق أخلاقي خاص بتوظيف الذكاء الاصطناعي في البحث الشرعي، بمشاركة علماء الشريعة، والتقنية، والمنهج.

2- إدراج موضوع "الذكاء الاصطناعي وأخلاقيات البحث" ضمن مقررات الدراسات العليا الشرعية، خاصة في مسالك الاقتصاد الإسلامي.

3- إنشاء هيئات علمية متخصصة لمراجعة النماذج الذكية الموجهة لخدمة البحث الفقهي، وتحقيق مرجعياتها الفقهية والمنهجية.

4- تشجيع الباحثين على الدمج المتوازن بين التقنية والاجتهاد، دون التفريط في أدوات البحث الأصيل، ولا الجمود على الوسائل التقليدية.

5- التنبيه على خطورة التبعية المعرفية للنماذج الغربية التي قد تكون غير منضبطة شرعا أو موجهة أيديولوجيا.

ثالثا: آفاق البحث المستقبلية

يفتح هذا البحث المجال أمام دراسات تطبيقية تتطرق بالتفصيل إلى:

1- تقييم نماذج الذكاء الاصطناعي الحالية الموجهة للفتوى.

2- أثر الذكاء الاصطناعي في تغيير مناهج التعليم الشرعي.

3- تقويم الفتاوى الصادرة بمساعدة الذكاء الاصطناعي في المؤسسات المالية الإسلامية.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- أبجديات البحث في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي، الدكتور فريد الأنصاري، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- أخلاقيات البحث العلمي في الذكاء الاصطناعي، الدكتور محمد حسن الوشاح، الدكتورة أسماء الوريكات، دليل أخلاقيات البحث العلمي العربي والذكاء الاصطناعي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أعده نخبة من المتخصصين، 2024/2023.
- أخلاقيات البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي: "تطبيق chatGPT وإشكالية السرقة العلمية"، نصر الدين هيصام، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، عدد: 01، مجلد: 08، جوان 2024.
- أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، سلسلة الذكاء الاصطناعي للتنفيذيين (3)، الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، الطبعة الثانية، أبريل 2024م.
- دور الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، إيناس عبد الرزاق علي، ياسين طه سري، مجلة الجامعة العراقية، عدد: 16، مجلد: 02.
- الذكاء الاصطناعي في العلوم الشرعية إمكانيات وتحديات تساؤلات حول قدرة الآلات على الفهم والاستنباط الفقهي، الدكتور مولاي عبد الله قاسمي، الطبعة الأولى، 1446هـ/2024م، مركز معالم للدراسات والبحوث والتكوينات.
- الذكاء الاصطناعي وتقنياته – قضايا وتحديات في ضوء الفقه الإسلامي–، الدكتور العربي ببوش، محمود زعيم، مجلة البحث والدراسات، عدد: 02، مجلد: 21، 2024م.
- المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، الدكتور عثمان شبير، الطبعة السادسة، 1427هـ/2007م، دار النفائس للنشر والتوزيع.